وحـــــدة

حسن البنا

﴿ ... **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦]

أعتقد أن سلفنا الصالحين رضوان الله عليهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من سعادة في الدنيا ، ومثوبـــة في الآخـــرة بأمرين اثنين أساسين :

أولهما : قوة إيمانهم بالله تبارك وتعالى ، وحُسن اعتمادهم عليه ، وجميل استمدادهم منه واســـتنادهم إلى تأييـــده وأملهم في نصره ، واعتزازهم بهذه العزة الربانية المستمدة من هذا الإيمان : ﴿ ... **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ... ﴾ [المنافقون : ٨] ، فكان أحدهم إذا تكلم أو عمل أو جاهد أو اغترب أو أقام شعر بأن الله معه أينما كان يراه ويرقبه ويحفظه ويؤيده ويرعاه : ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَـــرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [يونس : ٦١]

وثانيهما : شدة تماسك بنيانهم ، وقوة رابطة جماعتهم ، قوة أساسها صفاء القلوب ، ونقاء السرائر ، وتقدير معنى الوفاء ، والشعور بقدسية الأخوة ، وإشراق القلوب بمشاعر الحب في الله إشراقاً سما بها إلى معنى الإيثار :

﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيـــمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَـــةً مِمَّـــا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ... ﴾ [الحشر : ٩]

حتى كان الرجل منهم يؤثر أخاه بماله وقوته وحياته ، وكل ما يملك .

بهذين المعنيين انتصر هؤلاء النفر من السلف الصالحين مع قلة عَددِهم ، وضعف عُددِهم ، وتجردهم مـــن كـــل عوامل المنافسة لغيرهم ، ممن كانوا أوسع منهم سلطاناً ، وأكثر أموالاً ، وأوسع عمراناً ، ولكن الإيمان والحب هما ولا شك أقوى عدد النصر ، وهكذا كانوا ، وصدق الله العظيم :

﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّـــهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَـــطْأَهُ**

فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الــصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩]

ولقد كنت ولا زلت أقول للإخوان في كل مناسبة : إنكم لن تُغلبوا أبداً من قلة عَــددكم ، ولا مــن ضــعف وسائلكم ، ولا من كثرة خصومكم ، ولا من تألب الأعداء عليكم ، ولو تجمع أهل الأرض جميعاً ما اســتطاعوا أن ينالوا منكم إلاّ ما كتب الله عليكم ، ولكنكم تُغلبون أشد الغلب ، وتفقدون كل ما يتصل بالنصر والظفر بسبب إذا فسدت قلوبكم ، و لم يصلح الله أعمالكم ، أو إذا تفرقت كلمتكم ، واختلفت آراؤكم ، أمّا ما دمتم على قلب رجل واحد متجه إلى الله تبارك وتعالى ، آخذٍ في سبيل طاعته ، سائر على نهج مرضاته ، فلا تهنوا أبداً ، ولا تحزنوا أبــداً ، وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يَترَكم أعمالكم .

عن كتاب (وميض من السديم)